

سيمائية العنوان في قصيدتي "شب گیر" لأحمد شاملو و"ليل يفيض من الجسد" لمحمود درويش (دراسة مقارنة)

فاطمه بخيت،^١ سعيد بزرگ بيگدلي^٢، ناصر نيكوبخت^٣، كبرى روشن فكر^٤

تاريخ الوصول: ١٤٣٤/٢/٥

تاريخ القبول: ١٤٣٤/٥/٦

اهتم السيميائيون في النقد الحديث بعنوان النص الأدبي اهتماماً واسعاً إذ أنه الإشارة الأولى التي تواجه المتلقي، كما أنه قد يكون مفتاحاً دلاليّاً يجتزل بناء النص في كلمة أو عدة كلمات، ومن خلاله يلج القارئ إلى أعماق النص لكشف دلالاته واستكناه معناه وفك شفراته ورموزه. ويمكن القارئ من معرفة هوية ومضمون النص الذي يعنونه.

لقد كان لـ ليوهوك، وجيرار جينيت، وهنري ميتران، وشارل غريفيل و روجر روفر وغيرهم من النقاد الغربيين أثر كبير في فتح هذا المجال أمام النقاد المعاصرين لدراسة العنوان تعريفاً وتحليلاً؛ حيث تناولت الدراسات المعاصرة العنوان بالتحليل والنقد بشكل ملفت للنظر وخاصة في الآونة الأخيرة. وقد قمنا في هذا المقال بدراسة عنوان قصيدة "شب گیر" للشاعر الإيراني أحمد شاملو، وعنوان قصيدة "ليل يفيض من الجسد" للشاعر الفلسطيني محمود درويش، ومقارنة دلالة كلمة "ليل" في عنوان كلا القصيدتين. ويتبع المقال المنهج الوصفي - التحليلي، في ضوء الأدب المقارن وضمن المدرسة الأمريكية.

إنّ نتائج دراسة وتحليل هاتين القصيدتين تظهر أنّ مفردات "ليل" جاءت كدلالة رمزية على سوء وتدهور الأوضاع في المجتمعين الذين يعيش فيهما كلا الشعارين.

الكلمات الرئيسية: السيميائية، العنوان، الأدب المقارن، الليل، أحمد شاملو، محمود درويش.

f_bokhait@yahoo.com

bozorghs@modares.ac.ir

n_nikoubakht@modares.ac.ir

kroshan@modares.ac.ir

١. طالبة دكتوراه في قسم اللغة الفارسية و آدابها، بجامعة تربيت مدرس.

٢. أستاذ مشارك في قسم اللغة الفارسية و آدابها، بجامعة تربيت مدرس.

٣. أستاذ مشارك في قسم اللغة الفارسية و آدابها، بجامعة تربيت مدرس.

٤. استاذة مشاركة في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس.

١- مقدمة

التي تحملها بين طياتها.

والصلة بين السيميائية والعلاقة تتضح عندما نعد العنوان «نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شيفرته الرامزة، ومن هنا فقد أولى البحث السيميائي حلاًّ عنايته لدراسة العنوانات في النص الأدبي... وسيميائية العنوان تنبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن ليفرض أعلى فعالية تلقى ممكنة، مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل. كما يشكل العنوان أول اتصال نوعي بين المرسل والمتلقي». (م، ن، ص ٥٥)

وبما أنّ العنوان في النص الأدبي له الصدارة، فمن الأخرى أن يكون له الصدارة أيضاً في الدراسة والتحليل، من حيث أنّ العنوان علامة مكثفة تحمل المضامين الأساسية للنص الذي تُعنونه، وهو إشارة النص وعلامته الأولى. «لهذا لم يكن اهتمام السيميائية بالعنوان اعتبارياً، ولا من قبيل الصدفة، بل لكون "العنوان ضرورة كتابية" جعلت منه "مصطلحاً إجرائياً ناجحاً في مقارنة النص الأدبي، ومفتاحاً أساسياً يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها" وكذا لكونه أولى عتبات النص التي لا يجوز تخطيها، ولا تجاهلها، إن أراد القارئ التماس العملية في التحليل والدقة في التأويل، فلا شيء كالعنوان "يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، وهنا نقول إنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض منه" حملاً على تبعية النص للعنوان». (عبد القادر، ٢٠٠٨م، ص ٩٥)

بناءً على هذا فقد أصبحت العنونة «هاجساً ملحاً للناس وهو يقدم نصه للقارئ نظراً للدور الخطير الذي يمارسه "العنوان" في العملية الأدبية إبداعاً، والغواية المثيرة التي ييئها حول النص تلقياً، بمعنى أنّ "العنونة" جزء لا

تُعد الدراسات التي تناولت العنوان من الدراسات النقدية المعاصرة، حيث قام العديد من الباحثين والدارسين بدراساتها وتحليلها من نواحي متعددة، ويمكن القول بأنّ العنوان يمثّل دوراً بارزاً في فهم مضمون العمل الأدبي، وتكمن أهميته في أنّه أول علامة تواجه القارئ، حيث يمكنه الإحاطة بموضوع النص من خلال العنوان، كما يمكنه الاطلاع على دلالات ذلك النص ومعرفة الرمز والاستعارة والمجاز الكامنة فيه عن طريق العنوان.

ويمكن القول بأنّ العنوان «من حيث هو تسمية للنص وتعريف به وكشف له، يغدو علامة سيميائية، تمارس التدلّيل، وتمتدّ على الحد الفاصل بين النص والعالم، ليصبح نقطة التقاطع الاستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم، والعالم إلى النص، لتنتفي الحدود الفاصلة بينهما، ويحتاج كل منهما الآخر». (حسين، ٢٠٠٥م، ص ٣٥١) و«السيميائية أو السيميائية أو السيميولوجيا أو السيميوطيقا أو علم الإشارة أو علم العلامات أو علم الأدلة...، ترجمات وتعريفات تطول لعلم واحد بمصطلحين شاعرين هما: ١ من اليونانية، حسب العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير^٣ أو^٤ حسب العالم والفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس^٥. (دريدي، ٢٠١٠م، ص ٥٤)

التحليل السيميائي للنصوص الأدبية هو دراستها دراسة سيميائية من جوانب ونواح متعددة، حيث تقوم تلك الدراسة بالغوص في أعماق النصوص لكشف الدلالات

1. Semiology
2. Semion
3. Saussure F. De (1913_1856)
4. Semiotics
5. Ch. S. Perice (1914_1838)

١-٢ خلفية البحث:

شهدت الدراسات النقدية المعاصرة اهتماماً كبيراً بالعبثيات، حيث تمت دراستها من نواح متعددة. ولعل الغرب هم أول من اهتم بموضوع العنوان، حيث تناولوه بالدراسة والبحث منذ ستينات القرن الماضي، فقد كانت أول دراسة له هي الدراسة التي قام بها العالمين الفرنسيين "فرانسوا فروري" وأندري فوتاناً تحت عنوان: "عناوين الكتب في القرن الثامن"، وكان هذا الكتاب يمثل باكورة الأعمال النقدية التي تهم بالعنوان، وعملاً ممهداً لظهور علم جديد له أصوله ونظرياته ومناهجه هو (علم العنوان). (رحيم، ٢٠٠٨م، ص٣٢٤)

ليوهوك^٢ أيضاً ألف كتاباً تحت عنوان "سمة العنوان" عام ١٩٧٣م والذي أدى دوراً كبيراً في تبلور علم يُسمى بعلم العنوان.^٤

أما جينيت فهو أول من خصص كتاباً كاملاً حول المناص^٥ وذلك في كتابه الشهير "عبثيات" ١٩٨٧م، حيث شهد المناص «حركية تداولية وتواصلية في المؤسسة النقدية العالمية، للعلاقة التي ينسجها بما يحيط بالنص، وما يدور بفلكه من نصوص مصاحبة وموازية، وبفاعلية جمهوره المتلقي له». (بلعابد، ٢٠٠٨م، ص٢٦)

كما أنّ هناك العديد من المؤلفات التي كُتبت باللغة العربية حول العنوان، سواء على شكل كتاب أو مقالة أو رسالة جامعية. ومنها:

كتاب العنوان في الشعر العربي: النشأة و التطور" تأليف محمد عويس (١٩٨٨م) والذي يضم بحثاً مفصلاً

يتجزأ من استراتيجية الكتابة لدى الناص لاصطياد القارئ وإشراكه في لعبة القراءة، وكذلك بعدد من أبعاد استراتيجية القراءة لدى المتلقي في محاولة فهم النص وتفسيره وتأويله، ومن هنا الحاجة الملحة لتحوّل "العنوان" موقعاً لها في خريطة النظرية الأدبية المعاصرة، فهي لا تفتأ تضجُّ بإشكالياتها وأسئلتها أمام عتبات القراءة النقدية». (حسين، ٢٠٠٧، ص١٥ و١٦)

وبما أنّ هذا المقال ينهج في دراسته منهج المدرسة الأمريكية التي تعمل «على ملاحقة العلاقات المتشابهة، بين الأدب المختلفة، فيما بينها وبين أنماط الفكر البشري، معتمدة في ذلك على المزاجية، بين الأدبي و الفني، وهي مزاجية كثيراً ما تفترض تداخلاً للأختصاصات و الثقافات، بل و معالجة لا تميز بين الأدبي و الموسيقي/ الغنائي و الشعري/ الما تحت- أدبي و الأدبي، في تحطيم مستمر للحواجز، التي تفصل عادة بين اللغوي والتشكيلي، بين العلاقات التاريخية الأكيدة، والعلاقات الغائبة عن الأعمال و النصوص، ما دام الهدف الأساسي ليس هو إثبات التأثير و التأثير، بقدر ما هو بلوغ البنية الجمالية و التشكيلية للنص المقارن.» (علوش، ١٩٨٧م، ص٩٥) لذا سنتناول فيه دراسة عنوانين كلاً من قصيدتي "شب كير" لأحمد شاملو" و "ليل يفيض من الجسد" لمحمود درويش ومقارنة دلالة مفردة "ليل" في كلاً منهما مع الآخر.

١-١ أسئلة البحث

يسعى هذا المقال للإجابة عن السؤالين الآتيين:

- ١- ما هي أهمية وجود العناوين في النصوص الأدبية؟
- ٢- على ما تدل مفردة "ليل" في عنوان كلاً من

قصيدتي شاملو ودرويش؟

1. Francois Fourier
2. Andrie Fantana
3. Leo Hock
4. H.Hock,1981 P:5
5. Paratexte
6.Seuils

الفكر عام ١٩٩٧م، وقد درس فيها حمداوي السيميائية من اتجاهات متعددة، ودرس مدى علاقة السيميائية بالعنوان. ويمكن القول بأن حمداوي أصبح من المتخصصين في دراسة العنوان، وذلك لقيامه بكتابة عدة دراسات حول العنوان وعتبات النص.

هذا وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت العنوان باللغة العربية، إلا أن الموضوع جديد في الأدب الفارسي حيث يمكن القول أنها لم تلاحظ أي دراسة تناولت موضوع العنوان باللغة الفارسية.

١- التعاريف

٢-١- العنوان في اللغة

«عَنَّتُ الكتابَ وأَعَنَّتهُ لكذا أي عرضته له وصرفته إليه، وَعَنَّ الكتابَ يَعْنُهُ عَنَّاً وَعَنَّتهُ: كَعَنَّوَنُهُ، وَعَنَّوَنُهُ وَعَلَوَنَتُهُ بمعنى واحد، مشتق من المعنى، وقال اللحياني: عَنَّتُ الكتابَ تَعْنِيَانِ وَعَنَّتُهُ تَعْنِيَةً إِذَا عَنَّوَنْتُهُ، أبدلوا من إحدى النونات ياء، سمي عُنَوَاناً لأنه يَعْنُ الكتابَ من ناحيته، وأصله عُنَانٌ، فلما كَثُرَتِ النونات قُلِبَتْ إحداها وأوَاءً، ومن قال عُلُوَانُ الكتابَ جعل النون لأمّاً لأنّه أخف وأظهر من النون.

ويُقال للرجل الذي يَعْرُضُ ولا يُصْرِّحُ: قد جعل كذا وكذا عُنَوَاناً لحاجته ...

قال ابن بري: والعُنُوَانُ الأثر، قال سَوَّارُ بنِ المَضْرَبِ:

وَحَاجَةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَّحْتُ بِهَا

حَجَلَتَهَا لِلتَّسْبِي أَحْفَيْتُ عُنُوَاناً

قال: وكلما استدلت بشيء تظهره على غيره فهو عُنُوَانٌ له ...

قال الليث: العُلُوَانُ لغة في العُنُوَانُ غير جيدة، والعنوان بالضم هي اللغة الفصحى، وقال أبو داود داوود الرواسي:

حول العنوان منذ ظهوره إلى عصرنا الحاضر، كما قام المؤلف فيه بدراسة عدة عناوين شعرية لشعراء معاصرين. كذلك ألف محمد فكري الجزار كتاباً يحمل عنوان "العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي" عام (١٩٩٨م) درس فيه العنوان من جهات وزوايا مختلفة.

مقالة "النص الموازي في الرواية: إستراتيجية العنوان" للدكتور شعيب حليفي الذي نُشر في مجلة الكرمل الفلسطينية، العدد ٤٦، سنة ١٩٩٦م. يعد أول مقال درس العنوان دراسة تاريخية وبنوية بشكل مستفيض؛ ومن أهم المصادر التي استند إليها الدارسون في تأليفاتهم حول العنوان.

وقد ألف حسين خالد حسين كتاباً يحمل عنوان "في نظرية العنوان" (٢٠٠٧م) والذي قدم فيه دراسة مستفيضة حول العنوان قام فيه بتحليل عدة عناوين أدبية. كما أن مقالة عبد القادر رحيم "العنوان في النص الإبداعي: أهميته وأنواعه" (٢٠٠٨م) هي أيضاً من المقالات المتميزة التي درست العنوان من عدة جوانب.

كتاب "عتبات: جيران جينيت من النص إلى المناص" تأليف عبد الحق بلعابد الذي نُشر عام (٢٠٠٨م) هو أيضاً من الكتب التي أُلِّفت حول عتبات النص، حيث قام بدراسة العنوان وغيره من عتبات النص من وجهة نظر جيران جينيت.

ومن الرسائل الجامعية التي تناولت العنوان بالبحث والدراسة رسالتي جميل حمداوي للماجستير والدكتوراه، حيث كانت الأولى بعنوان "مقاربة العنوان في الشعر العربي الحديث والمعاصر" ١٩٩٦م، والثانية بعنوان "مقاربة النص الموازي في روايات بنسالم حميش" ٢٠٠١م. وقد درس فيهما العنوان دراسة مستفيضة، كما قام بتأليف مقالة بعنوان "السيميوطيقا والعنونة" حيث نشرت في مجلة عالم

لِمَنْ طَلَّلَ كَعُنْوَانَ الْكِتَابِ

كَبْنَبْذِكَ نَعْلًا أَخْلَقْتُ مِنْ نَعَالِكََا

وقد يكسر فيقال عُنْوَانٌ وَعَيْنِيَانٌ وَاعْتَنَنْ مَا عِنْدَ الْقَوْمِ أَيُّ
أَعْلَمَ حَبْرَهُمْ». (ابن منظور، ج ١٠، ٢٠٠٠م، مادة (عَنَنْ))

٢-٢ العنوان اصطلاحاً

تعكس اللغة العالم الخارجي على شكل أسماء وكلمات، ولكل لغة خصوصيتها في التسمية والعنونة. أما العنوان بالنسبة للكتاب والنص فهو: «علامة لغوية تعلق النص لتسميه وتحدده وتغري القارئ بقراءته». (رحيم، ٢٠٠٨م، ص ٣٢٣)

وقد حظي العنوان باهتمام السيميائيين كونه يحمل أكبر دلالة لغوية مكثفة تحوي مضمون النص، وكونه أيضاً «أول علامة على طريق التلقي، ومفتاحاً سيميائياً يجتزل بنية النص وكنهه في كلمة أو بضع كلمات. ولذا سلكه جيران جينيت في كتابه "عنتبات" ضمن مفهومه عن "النص الحاشية"». (الفيفي، ١٤٢٦ ق، ص ١٦) كما أن العنوان قد يكون «مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعده الدلالي والرمزي. إذ تشكل العناوين عامة سواء أكانت عناوين لمؤلفات علمية أو لنصوص إبداعية أو عناوين لأي نشاط إنساني، بني حاملة لدلالة قصوى تقوم على تكتيف دلالة المعنُون العامة، بحيث يمكن في ضوء هذا الفهم أن تصبح قراءة العنوان قراءة نوعية للمُعنُون بصيغة (ما قل ودل)». (خلف، ٢٠٠١م، ص ٩)

بناءً على ذلك، فالعنوان كما عرفه ليوهوك مؤسس علم العنونة هو: «مجموع العلامات اللسانية التي يمكن أن توضع على نص ما لتعيّنه وتشير إلى محتواه العام، وتجذب القارئ». (H.Hock، 1981، p: 5)

٢-٣- أهمية العنوان

لقد أولت الدراسات المعاصرة العنوان أهمية كبيرة، ليس من حيث أنه جزء لا يتجزأ من النص فحسب، بل كونه بوابة يلج منها القارئ أو الناقد إلى أعماق النص للبحث في أغواره وفك إهامه واستكناه دلالاته. فالعنوان «مناخية رأس للجسد، والنص تمطيط له، وتحوير، إما الزيادة أو الاستبدال أو النقصان، أو التحويل. إنَّ العنونة بالنسبة للسيميولوجي بمثابة بؤرة ونواة للقصيدة الشعرية. يمدّها بالحياة والروح والمعنى النابض. إنَّ العنوان يمدنا بزاوية ثمين لتفكيك النص ودراسته، ونقول هنا: إنّه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة، فهو - إن صحت المشاهدة بمناخية الرأس للجسد - والأساس الذي تبنى عليه، غير أنّه إما أن يكون طويلاً فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه. وإما أن يكون قصيراً، وحينئذ، فإنّه لا بد من قرائن فوق لغوية توحى بما يتبعه». (حمداوي، ١٩٩٧م، ص ١٠٧) كما تكمن أهمية العنوان في كونه «مفتاح تأويلي لا غنى عنه لفك شفرات النص وفك مغالقه». (بن البحري، ٢٠٠٩م، ص ٢٤).

بناءً على أهمية العنوان فإننا في هذه المقالة سنقوم بدراسة وتحليل قصيدتي "شب گير" للشاعر الإيراني أحمد شاملو، وقصيدة "ليل يفيض من الجسد" للشاعر الفلسطيني محمود درويش. وذلك بهدف معرفة دلالة مفردة ليل في كلا القصيدتين.

٢- القسم التطبيقي

٣-١- شب گير (أحمد شاملو)

"شب گير" هي إحدى قصائد الشاعر الإيراني الشهير أحمد شاملو، والتي تنتمي إلى ديوانه الشعري "باغ آيينه" (حديقة

والقابلة للتحليل؛ لذا يمكننا أن ندرسه من عدة مستويات:

٣-٢-١- المستوى المعجمي

العنوان "شب گير" يتكون من كلمة مركبة "شب" مع اللاحقة "گير"، ومن معاني "شب" في القاموس: «الصبح، أول الصبح وغيره...» (دهخدا، ج٩، ١٣٧٧ش، مادة شبگير) وكلمة "شب گير" من المصدر المرتخم "شب گير" شده" (الليل الأسير). ومن الناحية اللغوية يدل على أن شيئاً أو شخصاً جعل الليل تحت تصرفه. (حرى، ١٣٨٨ش، ص٢٦)

أما معنى كلمة "گير" في معجم اللغة فهي من الأخذ، الإغلاق، المنع، السد وغيره. وأكثر ما تتصرف مع مشتقات مصدر (کردن) و (داشتن). (دهخدا، ج١٣، ١٣٧٧ش، مادة گير)

يلاحظ في كلمات العنوان أن لكل واحدة منها معناً معيناً، لكن عندما تتركب الكلمات مع بعضها البعض تؤدي دلالة أوسع، حيث تتظافر دلالات الكلمات في المعنى المركب لتؤدي معناً قد يختلف في حالة ما إذا جاءت الكلمة منفردة.

٣-٣-١- المستوى النحوي

يتكون العنوان من كلمة واحدة "شب گير" وهذه الكلمة هي اسم شئ. ومن دلالة الاسم الثبوت والاستقرار، (شديد، ٢٠٠٤م، ص١٥٨) وقد يشير إلى أوضاع أو حالة ثابتة وغير متغيرة.

٣-٤-١- المستوى الدلالي

يمكن للقارئ في هذا المستوى أن يتعرف على دلالة العنوان ولو بصورة نسبية، لكن قد يختلف الأمر بالنسبة لهذا

المرأة). وقد تكررت مفردات الطبيعة في عناوين أشعاره إلى جانب عناوين أخرى كالغزل والرثاء وغيرها، لكن يبدو الليل أكثر مفردات الطبيعة تكراراً في عناوين أشعاره.

المدى الواسع لسحر وجمال الطبيعة، لا يعطي قدرة كبيرة للصور الشعرية في شعر شاملو الذي يخدم المشاعر الإنسانية فحسب. بل إن حسن وجمال تلك الصور تدعو القارئ إلى قراءة ذلك الشعر لعدة مرات. بدون شك وبغض النظر عن العواطف العامة والإنسانية الموجودة في شعر شاملو، فإن سر الجاذبية الممزوجة بالحسن والجمال وعظمة الحماسة، كل ذلك يجب أن يعتبر على أنه مدين لعنصر الطبيعة، خاصة عناصر الطبيعة البارزة في شعره. (پورنامداریان، ١٣٧٤ش، ص٢٢٥)

٣-١-١- سيميائية عنوان "شب گير"

يعتبر هذا العنوان من العناوين المتميزة في الأدب الفارسي، كونه من زمرة العناوين المبهمة التي لن يتسنى للقارئ معرفة معناها سوى عن طريق قراءة استكشافية يتم من خلالها فك رموز وشفرات النص الذي يعنونه. «والعنوان لا يمل إحالة إيقونية إلى الشئ بوصفه وجوداً أو مرجعاً خارجياً، وإنما تتعدى ذلك ليتحول إلى رمز، بمفهوم بيرس السيميائي، إذ يوظف الرائحة في العنوان، فحين أطلق الشدا قيده بإطلاق آخر وهو العرف. وربما يرتبط هذا بأبعاد نفسية تتعلق بالمؤلف، لما في هذه الألفاظ من الإناس وصفاء الخاطر، هذا ولا يغيب عن بالنا، أن الطبيعة بعمق روحانيتها الجمالية، رفعت الإنسان إلى أن يستلهم منها هذه المعاني الجمالية، ويحاول أن يخلدها بإضافته لمحات من غلالنها على صيغته وتراكيبه». (برهومة، ٢٠٠٧م، ص١٩، ٢٠،

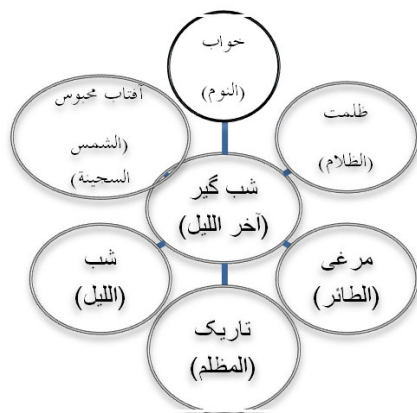
وبما أن العنوان مجموعة من الوحدات اللسانية المتعاقبة

صوتاً مُلحناً، أو يغرّد». (دهخدا، ج ۹، ۱۳۷۷ش، مادة شب گبر)

لكن المعنى للأبيات قد يتحول عن مساره الأصلي، وخاصة عندما يذكر الشاعر بأنه ذلك الطائر في الظلمة المتقلبة:

من همان مرغام، به ظلمت باژگون (شاملو، ص ۳۲۳) لیبداً بعد ذلك بسرد معاناته ومعاناة المجتمع الذي يعيش فيه، والأوضاع المضطربة والمشاكل الاجتماعية التي يبرز تحتها ذلك المجتمع. فلا فرار من الغم والمشاكل، ولا سبيل إلى الشعور بالأمل، بل قد يكون الشعور بالحزن هو الغالب.

بالنظر إلى النص وعنوانه يمكن ملاحظة سلسلة من الكلمات والتعبير المترابطة التي تتعالق فيما بينها من حيث أنها تنتمي إلى حقل معين. والتي قد تشير في نصنا هذا إلى الليل والظلام، حيث إنّ كل كلمة من هذه الكلمات كوّنّت مجموعة مترابطة من المفردات والتي بدورها جاءت من جذر واحد، لتؤدي إلى دلالة معينة.



العنوان، والذي أشرنا في السطور السابقة أنه من العناوين المبهمة التي لا يمكن معرفة معناها أو دلالتها سوى عن طريق النص. لما فيه من عدم الصراحة، حيث لم يستعمل الصباح أو الفجر بل استعمل الشاعر لغة تبدو على عكسها في الجزء الأول من العنوان، فكلمة "شب" تدل على الظلام، لكن بإضافتها إلى اللاحقة "گبر" قد تختلف الدلالة هنا، حيث من معاني هذا التركيب آخر الليل، لكن بتحليل النص يمكن أن تتضح الدلالة أكثر.

۳-۱-۲- دلالة العنوان في النص الشعري

إنّ العنوان هو الذي يحدد قراءة النص، والذي قد يعكس لنا دلالات جديدة بخلاف ما يحمله المعنى الظاهري للعنوان، وذلك بناءً على ما يعكسه لنا النص، ومدى رابطته بالعنوان، لأنه المفتاح الذي من خلاله يمكن حل اللغز الذي قد يكون كامناً في أعماق النص. كذلك العكس فقد يكون بمثابة لغز، والنص تفسير وتأويل له. كما هو الحال في عنوان هذا النص الشعري.

فهذه القصيدة للشاعر شاملو تتكون من عشرة مقاطع، كل مقطع يرتبط بما قبله ارتباطاً وثيقاً، وقد يكمله من حيث تسلسل الأحداث وتكميل المعنى.

يرتبط العنوان "شب گبر" بالمقطع الأول للقصيدة كثيراً، حيث يقول الشاعر:

مرغی از اقصای ظلمت پرگرفت

شب چرایي گفتم و خواب از سرگرفت

مرغ، وایي کرد، پر بگشود و بست

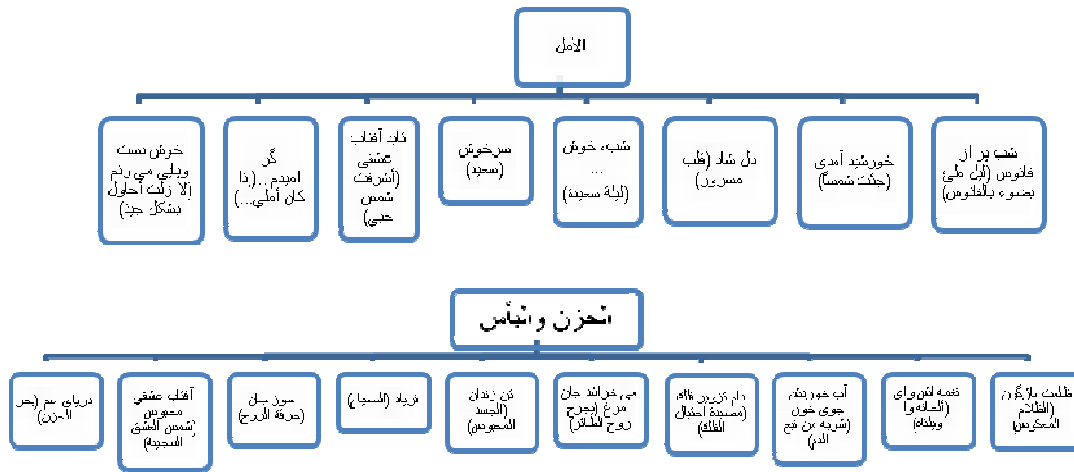
راه شب نشناخت، در ظلمت نشست (۱)

(شاملو، ص ۳۲۳)

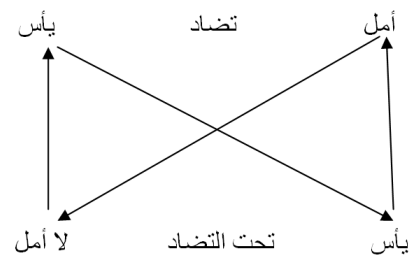
من معاني "شب گبر" في قاموس اللغة: «اسم طائر يصدر صوتاً حزيناً وقت السحر، أو كل حيوان يصدر

إما إذا حاولنا دراسة السياق الوصفي في النص، فإننا سنجد مفردات عديدة تدور محورين متضادين. تعكس كل منها دلالة معينة تتفرع من صور متعددة، لتؤدي في النهاية إلى مفهوم واحد. حيث يدور السياق الأول حول مفهوم الحزن واليأس، وما ينطوي تحته من مفردات تدل على ذلك. والذي يمثلها الشكل الآتي:

أما السياق الثاني فيدور حول الأمل، وما يرتبط بهذه المفردة من مفردات قد تؤدي إلى نفس الدلالة أو ما يتعلق بها. والذي يمكن أن نعكسها في الشكل التالي:



بالأمل مرهون برحیل الحزن والیأس. ومن هنا وبناءً على وجود هذين الشعورين المتضادين وعدم شعور الذات الشاعرة بأي منهما — لا الیاس یأس، ولا الأمل أمل — فإن السياق هنا قد يبدو حقلاً متزاحماً، والذي يمكن الإشارة إليه وفق الترسیمة الآتية:



بدراسة هاذين السياقين يلاحظ أنّ مفرداتهما ترتبط ارتباطاً عميقاً بمركز السياق لكل منهما. لكن الشيء الملفت للنظر أنّ الظلام والحزن محيم على أغلب مواضع النص. حتى في المواضع التي تريد أن تبدو معها الذات الشاعرة وكأنها تمتلك بصيصاً من الأمل؛ فإنّها لا تخلو من العتمة واليأس:

- گر امیدم پیش راند یک نفس
- روح دریایام کشاند باز پس (۲)
- خود نه از امید رستم بی زغم
- وین میان خوش دست وپای می زغم. (۳) (م. ن، ص ۳۲۴)
- لذا يبدو صراعاً في النص بين الشعور بالیأس والأمل، وهو صراع يكشف عن هوية النص، وعليه فإنّ الشعور

للأوضاع هو تقليد للشاعر الإيراني الكبير نيماء يوشيج في عدة قصائد من أشعاره، ومن أشهرها قصيدة "هست شب" (الليل) التي صور فيها تلك الأوضاع المتردية أبلغ تصوير. (نيماء يوشيج، ١٣٧٥ ش، ص ٧٧٦)

أما المسار الثاني والذي يمثل الجانب المشرق من النص (الأمل) فقد بدأ بشكل خافت، حيث غلب اليأس والتشاؤم على الشعور بالأمل، من ناحية أن سوء الأوضاع في المجتمع لم تدع للشاعر حتى مجرد بصيص أمل في غدٍ مشرق:

من همان مرغام، نه افزونام نه كم.

قايقي سرگشته بر درياي غم:

گر اميدم پيش راند يك نفس

روح درياي ام كشانند باز بس. (٥)

(م.ن، ص ٣٢٤)

هنا يمكن القول أن وجود الصراع بين الأمل واليأس في النص لم ينتهي نهاية محددة، برغم غلبة اليأس على الأمل، حيث أن التشاؤم والسوداوية كانت هي الأكثر سيطرة فيه. لذا يلاحظ بوضوح مدى الترابط بين العنوان "شب- كير" ونصه، والذي جاء شارحاً ومترجماً له ومتناساً معه، والذي يؤيده تكرار مفردة "ليل" وما ينتمي إلى حقلها من مفردات تدل على الظلام والعتمة.

٣-٢ ليل يفيض من الجسد (محمود درويش)

لقد تكررت مفردات الطبيعة كثيراً في أشعار الشعراء، ومنها كلمة المساء التي تكررت بشكل كبير وملحوظ وخاصة في الشعر الرومانسي، وذلك لما تحمله من معاني المعاناة والألم، حيث أن هذا النوع من الشعر يحمل معاني عدة، منها اليأس، القلق، الغربة والتشاؤم..... حيث يرى الشاعر الرومانسي في البكاء والألم متنفساً ومطهرة

بناء على هذا المربع يمكن لنا أن ندرس كلا الحالتين في النص، من حيث أن المعنى الذي يدور حوله محور النص لا يظهر إلا من خلال الوحدات اللغوية البارزة التي تُسَيَّر بجرى النص، وبهذا تكتسب المفردتان سمات دلالية جديدة. لذا «تروم القراءة من خلال البنية المعجمية القبض على التنظيم الدلالي الذي يسكن "نص العنوان"، وبمعنى آخر تستهدف القراءة السؤال عن طبيعة "الحقل الدلالي" الذي يشكله العنوان في نشاطه النصي، وجملة العلاقات الدلالية التي تتفاعل بموجبها كائنات النص: المفردات، والحقل الدلالي...». (حسين، ٢٠٠٧م، ص ١٨٤)

إن هذا النص يعمل على تجلية مسارين، حيث يُلاحظ في المسار الأول نظرة سوداوية للذات الشاعرة تجاه الأوضاع السيئة في المجتمع، ومدى استيائه منها، بحيث أن تصوره لتلك الأوضاع قد يكون أكثر سوءاً وسوداوية من الأوضاع ذاتها، فقد لوحظت تلك الصور في مواضع متعددة من هذه القصيدة، حيث سعى الشاعر إلى أن يعكس للقارئ مدى ظلم النظام الحاكم في حق الشعب، حيث صور نفسه كطائر الظلام الذي بلغت به الحيرة والآلم مبلغاً، فلا هو قادر على شق طريقه وسط تلك الأوضاع السيئة، ولا هو قادر على فعل شيء؛ فكل ما بيده هو انشاد الأشعار المناهضة لتلك الأوضاع:

من همان مرغام، به ظلمت باژگون

نغمه اش واي، آب خوردش جوي خون (٤) (شاملو، ٣٢٢)

هنا إشارة إلى مدى ظلم النظام الحاكم لشعبه، حيث أن نبع الدم هو دلالة على حجم العنف والقتل والاعتقالات والظلم التي تمارس ضد ذلك الشعب. كما يشير إلى عدم الشعور بالأمن والاستقرار، وسوء الروابط الاجتماعية والمعيشية في معظم أرجاء النص. حيث يعتبر هذا التصوير

التركيبية والنحوية والاشارات النوعية المحفزة للقارئ".
(بوصع، ٢٠٠٩/٢٠١٠، ص ٢٥)
إذا أردنا أن نبحت عن دلالة هذا العنوان، فإنه يتعين علينا
أن ندرسه من ثلاثة مستويات:

٣-٣-١ المستوى المعجمي

يتكون العنوان من أربع كلمات "ليل"، "فيض"، "من"،
و"الجسد"، فكلمة ليل في المعجم: «اللَّيْلُ: عقيب النهار
ومبدؤه من غروب الشمس. اللَّيْلُ: ضد النهار والليل ظلام
الليل والنهار الضياء...» (ابن منظور، ج ١٢، ١٩٩٢ م،
مادة ليل)

أما كلمة فيض فهي من فاض، و"فاض الماء -
فيضاً، وفيوضاً، وفيضاناً: كثر حتى سال. فهو فائض،
وقيّاض. ويقال: فاض النهر، وفاض السَّيْلُ. - والإناء:
امتلاً حتى طفح. - وعينه: سال دمعها. - والشئ: كثر.
يقال: فاض الخير. - والخير: ذاع وانتشر. - صدره بالسر
فيضاً: باح به ولم يطق كتمه. - عليه الدرع: اتسعت».

(المعجم الوسيط، ١٣٧٦، ج ١، مادة فاض)

كما أن حرف "من" في العنوان جاء لابتداء الغاية في
المكان. وكأنه حدد الجسد بمكان فيفيض أو ينسل منه
الليل.

وكلمة "الجسد" في المعجم هي: «جسم الإنسان ولا
يقال لغيره من الأجسام الغتدية، ولا يقال لغير الإنسان
جسد من خلق الأرض. والجسد: البدن، تقول منه تجسّد،
كما تقول من الجسم: تجسّم». (ابن منظور، ج ٢،
١٩٩٢ م، مادة جسد)

للنفس... ويبدو طابع الهروب إلى الطبيعة والحب والموت
محوراً عاماً يتمثل في عدم التكيف الاجتماعي والنفسي.
(قصاب، ١٩٩٢ م، ١٣٦)

أما في عناوين أشعار درويش فقد جاءت هذه الكلمة
في خمسة عناوين من عناوين أشعاره وهي: "هناك ليل"،
"من أنا بعد ليل الغريبة؟"، "ليلة البوم"، "ليلك من ليلك"،
و"ليل فيض من الجسد" والذي اخترناه ليكون محور هذه
الدراسة.

٣-٢-١ سيميائية عنوان "ليل فيض من الجسد"

بالنظر إلى عنوان القصيدة من الناحية اللغوية نجد أن
الوظيفة الشعرية قد هيمنت على تركيبته، والتي تظهر من
خلال دوال العنوان وعكسها لهذه الوظيفة، حيث تُظهر لنا
الليل وكأنه شيء يتحرك وينسل من الجسد، لكن على ما
يبدو فهو جسد منهك ومتعب. والدليل على ذلك أن الليل
يفيض منه، ومن المعروف أن الشعراء يستخدمون كلمة
الليل - في الغالب - للإشارة إلى المعاناة والألم.

ومن هنا تتجلى شعرية العنوان، والتي قد تفاجئ المتلقي،
كونها بعثت إشارات لغوية غير متوقعة، وقد تشده إليها
لاستكناه دلالاتها. لأن اختيار الألفاظ مع بعضها كون
التحاماً بين (الجسد/كائن حي)، والزمن (الليل/شئ)
محسوس). لتبدو الصورة أكبر إهاماً توحى بالظلمة والعممة
التي تعكسها كلمة (ليل). فـ "العنوان كنص له مقوماته
وانسجامه ولغته، وحتى لو كان مجرد علامة ترقيم فإنه
يحدث أثراً في المتلقي قد يشده إليه ليتأمله صارفاً إياه لبعض
الوقت عن الانتقال إلى النص، ونصية العنوان هذه تتطلب
منا الوقوف عندها من كل الجهات التي نراها ذات وظيفة
في التحليل واكتشاف الدلالة ومن ذلك دراسة الصيغ

٣-٤-١ المستوى النحوي

جاء العنوان "ليل يفيض من الجسد" على المستوى النحوي مركباً تركيباً بنائياً، حيث توالى جملتان كلاً منهما أوضحت معنى الأخرى، فالجملة الأولى إسمية مكونة من مبتدأ وخبر، والمبتدأ محذوف تقديره هو، أي هو ليل. أما الجملة الثانية (الفعلية) فهي جملة: يفيض من الجسد.

وتركيبة العنوان قد تخيلنا إلى غير ما هو مألوف وشائع في أسلوب العنونة في الأدب العربي في السابق. فقد تميزت عناوين درويش بتكثف الدلالة لاحتواءها على الرموز، حيث «يشكل الرمز الطبيعي أحد أهم عناصر التصوير الرمزي، وهو شكل يبرز رؤية الشاعر الخاصة تجاه الوجود، ويعمل على تخصيصها، كما أنه يمكن الشاعر من استبطان التجارب الحياتية، ومنحه القدرة على استكناه المعاني استكناهاً عميقاً، مما يضفي على إبداعه نوعاً من الخصوصية والتفرد. والشاعر إذ يستمد رموزه من الطبيعة، يخلع عليها من عواطفه ويصبغ عليها من ذاته ما يجعلها تنفث إشعاعات وتموجات تضح بالإبجاءات. فتصبح الكلمات الشفافة القريبة المعنى مكثفة ومحملة بالدلالات. ولا فرق بين كلمة وأخرى في هذا المجال، لأن كل مفردات اللغة لها أن تستخدم في الشعر استخداماً رمزياً.» (أغبال، ٢٠٠٦، ص ١٤٩)

٣-٥-١ المستوى الدلالي

في هذا المستوى يمكننا أن نجد دلالة العنوان التي يمكن تبيينها من خلال المستويين السابقين. فبالنظر إلى العنوان نلاحظ أنه يحمل في ثناياه دلالات توحى بالظلمة والهموم من خلال جعل الليل يفيض من الجسد، فمن المعروف أن مع الليل يحل الظلام، وقد تجد فيه النفس السكينة حيث أن الليل هو وقت الراحة وسكينة للنفس من متاعب العمل

بالنهار. كما أنه قد يكون باعناً للوحشة والفرع عندما يسدل الظلام ستاره على الكون. فقد اتخذ الشعراء الليل - في أغلب أشعارهم - رمزاً للمعاناة والألم. وكون الليل (المعاناة) يفيض من الجسد، فقد يترتب على ذلك دلالات توحى بحجم المعاناة والألم الذي يعاني منه ذلك الجسد. حيث تضافرت مفردات المرسله العنوانية لإظهار الدوال التي تكونت من تجاور هذه المفردات مع تصوير مدى حجم تلك المعاناة. فشعرية العنوان تكمن في ربط الليل بالجسد، وقيامه باختيار مفردة الليل دون غيرها لتصوير تلك المعاناة التي يزرع تحتها ذلك الجسد. حيث تشابك وتداخل المفردات لإنتاج دلالات تنطلق من معاناة الشاعر. بالنظر إلى بنية العنوان نجد مفرداته تتوزع على ثلاثة حقول:



يلاحظ في هذه الحقول أنما تكشف عن العلاقات التي ربطت بينها، حيث أن من خلال الزمن يتعين عمر الكائن، فقد تأتي دلالة العنوان بخلاف المتوقع، فقد تتجاوز الدلالة الحديثة، الدلالة الزمنية، كون الجسد أصبح منبعاً يفيض منه الزمن، أي الليل بظلمته وعمته، لكن الدلالة تظل مبهمه تدور في محور الاحتمال، فبما ترى ما المقصود بـ "ليل يفيض من الجسد"، هل يدل على معاناة الشاعر، أم على الأوضاع المتأزمة في وطنه؟ مع وجود الترابط بين دلالة الحديثين.

عن طريق المستوى المجازي للعنوان، فمن الممكن قراءة مفردات هذا العنوان من خلال الفضاء الاستعاري عن طريق آلية التشاكل بين عتمة الليل، أو المعاناة التي يسببها تأزم الأحداث في المجتمع. كون الاضطرابات والمشاكل التي تحدث

والجمالية، لأنّ العنوان هو البوابة التي يبدأ منها تفاعل الحدث القرائي، فهو المرجع الذي نصل منه إلى مشكلات النص الفنية والجمالية، وهو العلامة الأولى التي تشد القارئ إلى الوقوف على النص أو الزهد فيه. (بوصيغ، ٢٠٠٩/٢٠١٠م، ص ٢٩،٣٠)

إنّ قصيدة "ليل يفيض من الجسد" هي إحدى قصائد ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً" (١٩٩٤م) وهذا العنوان من العناوين التي قد تولّد رؤى وتصورات لدى القارئ، كما أنّه قد يُوجد في ذهنه تفكيراً وتجرّ إلى العديد من التساؤلات.... أي ليل ذلك؟ هل ثمة أمر مادي أم معنوي؟ أم إشارة إلى حدث ما؟ للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها يمكننا دراسة النص لكي تبدو الرؤية والتوقعات أكثر وضوحاً.

يتكون هذا النص من ثمانية مقاطع قد تتفاوت في الطول والقصر، والتي تبدأ الكلام عن عاشقين غريبيين، يلتقيان غريبان، ويفترقان غريبان. تعتريهما الحيرة والقلق، فلا يكادان يصلان إلى هدف معين، كما تحتويهما هالة من الظلمة والعتمة، برغم محاولتهما الاستمتاع بتلك الليلة التي يلتقيا فيها، إلا أنّه يبدو أنّهما يحملان همّاً كبيراً، وهو هم الوطن:

أه مّتي، ومنك، ومن بلدي (درويش، ص ٦٤٤)
وتستمر الأحداث في النص إلى أن تصل إلى نهاية مفتوحة يبدو معها الحدث مستمراً لم ينته بعد:

بيد أنّي أتابع أغنيتي:

ياسمين

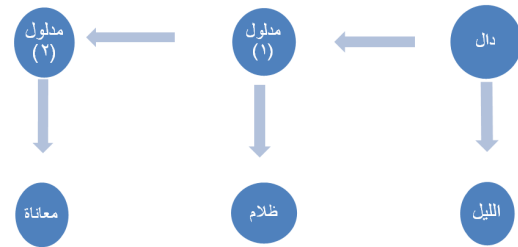
على

ليل

تموز..... (م.ن)

في ذلك المجتمع تحدث شعوراً سلبياً لدى الشخص بالنسبة للأشياء من حوله، كما تحدث شعوراً بالمعاناة والألم، وقد تسبب في نظرة سوداوية بالنسبة للبيئة والمجتمع الذي يعيش فيه الشخص، ومن هنا ليست مفردة "الليل" سوى قناع استعاري للإشارة إلى الظلم والمعاناة، «وهنا تنهض الوظيفة السيميائية للعنوان، بمعنى أن العلامة الأدبية "تقول شيئاً وتعني شيئاً آخر"، إذ تفاجئ العلامة اللغوية في سياقها الأدبي - وبموجب وظيفتها السيميائية - القارئ بدلالة مخالفة لدلالاتها السائدة أو المتعارف عليها، عبر اللجوء إلى آليات التشبيه والاستعارة والإيحاء والترميز.» (حسين، ٢٠٠٥م، ص ٣٥٥)

بناء على هذا، ينتقل العنوان "ليل يفيض من الجسد" من عالم الواقع "ليل" إلى الإيحاء بواقع آخر: معاناة الشاعر ومعاناة شعبه الفلسطيني عبر آلية الاستعارة، وفق الترسيم التالية:



٣-٢-٢ دلالة العنوان في النص الشعري (العنوان والنص)

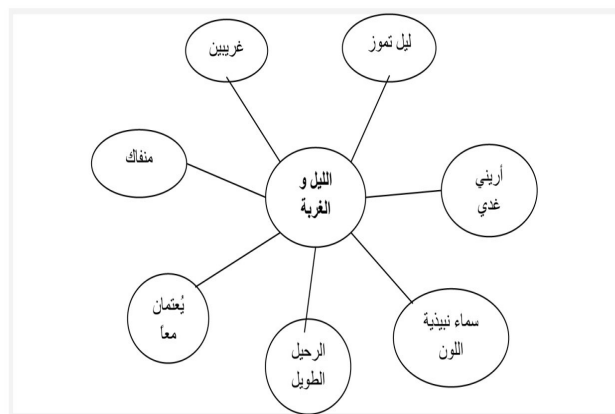
يتعامل القارئ مع النص الأدبي وفق تقنية الإثارة المقصودة المصحوبة بالإعجاب والاستغراب، فينتج عن هذه الوضعية الإقبال على النص أو النفور منه، والتي تنطلق تفاعلاتها من اللقاء البصري الأول بين القارئ والنص، فتنشأ علاقة حوارية تبدأ من المناص - والعنوان على وجه التحديد - الذي يعتبره السيميائيون عتبة النص والواجهة الخارجية التي تجسد أبعاد النص الأدبي البنائية والدلالية

يوجد في هذا النص سياقان وصفيان، يشير السياق الأول إلى الحيرة والقلق، وذلك من خلال العبارات التساؤلية والشرطية والأمرية ثم الغامضة، حيث يمكن الإشارة إلى هذا السياق بالشكل الآتي:

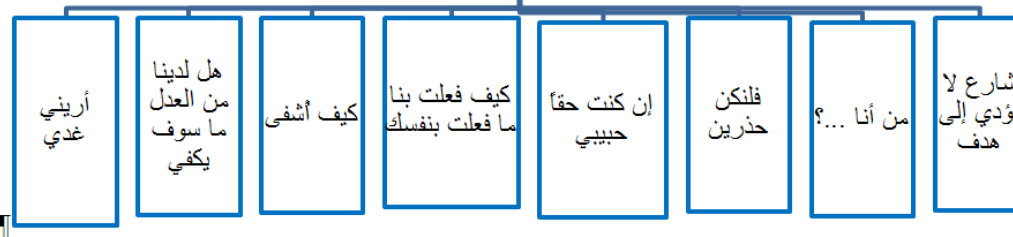
أما الكلمات في السياق الثاني فقد لا تختلف كثيراً عن الكلمات في السياق الأول، وذلك من حيث الدلالة العميقة لتلك الكلمات، حيث أن عنصر المعنى في هذه السلسلة يشير إلى العتمة والظلمة، وهي الحالة السلبية التي أشرنا إليها سابقاً، والتي يمكن أن نعكسها في الترسمة التالية:

وبالنظر إلى السياق الوصفي في النص نجد العديد من الكلمات التي تدور حول محور واحد، والفرق بينه وبين التراكم أن الرابطة بين المركز وما يدور في فلكه من كلمات، هي رابطة مجازية، والتي تتفق فيما بينها من حيث أنها قد لا تتشابه من حيث المفهوم الأساسي. (نبي لو، ١٣٩٠ش، ص ٩١)

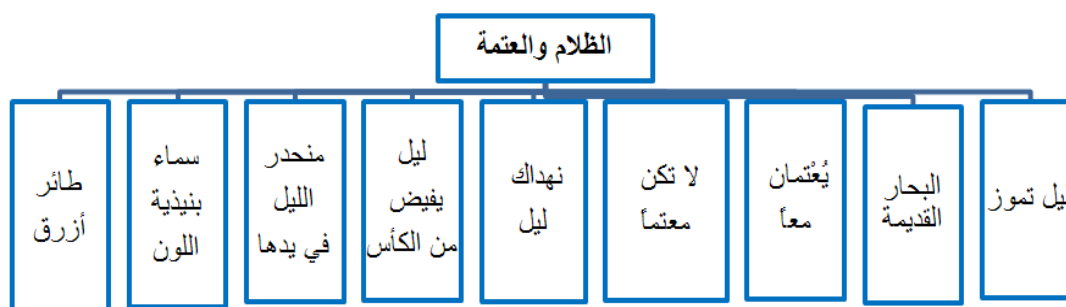
وفي هذا النص توجد سلسلة من الكلمات والتعبير المترابطة التي ترتبط فيما بينها عن طريق الدلالة إلى حقل معين، وهو الليل والغربة وما يترتب عليهما من المشاعر التي تنعكس على الذات لتولد حساً سلبياً، أو بعبارة أخرى، إن العتمة والغربة في النص قد تكون إحساساً سلبياً تجاه الأشياء المحيطة بنا، وذلك جرأً حادثاً ما أدت إلى هذا الشعور السلبي. والذي تمثله سلسلة الكلمات الآتية:



الحيرة والقلق

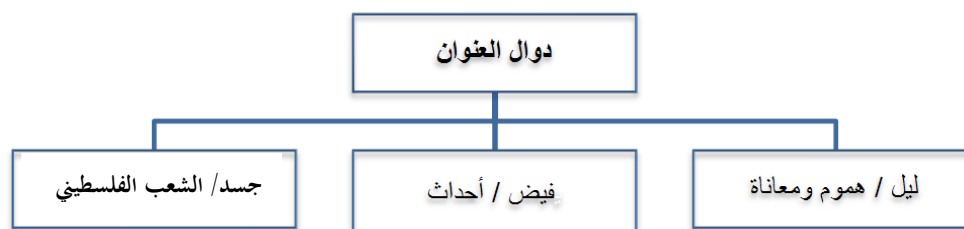


1. accumulation.



المأساوية والمعاناة التي يزرع تحتها أبناء الشعب الفلسطيني. كما أن الجسد هو الشعب الفلسطيني الذي لا ينفك يعاني من انتهاكات حقوقه وممتلكاته. إذن فالليل هنا رمز للأوضاع المأساوية التي يعاني منها ذلك الشعب، وتكرار هذه المفردة في النص سبع مرات وما يتعلق بها من المفردات التي تدل على الظلام والعتمة مثل: البحار القديمة، يُعتمان معاً، سما بنبيذية اللون، طائر أزرق وغيرها من الكلمات التي تنتمي إلى هذا الحقل، ما هي إلا إشارة إلى حجم الهموم والمعاناة التي احتوت معظم أرجاء القصيدة. حيث نشأت هنا علاقة تعاكسية بين أطراف مفردات العنوان (الليل، يفيض، الجسد) نتج عنه تحول في الدوال الرئيسية في التركيبة العنوانية، والذي يمكن الإشارة إليها بالشكل الآتي:

إذا أردنا أن نقارن بين الكلمات في كلا السياقين؛ فإننا قد نجد اختلافاً كبيراً بين الدلالة التي قد يدركها القارئ فيهما، وذلك من ناحية أن القلق والحيرة هي حالة سلبية قد تصيب الشخص من حيث أنه قد يعيش في أوضاع معيشية متأزمة مما تسبب في معاناته وبالتالي يجعله يعيش في حالة من القلق والحيرة والاضطراب. كذلك الظلام والعتمة التي تحل بحلول الليل، والتي تسبب في الغالب للإنسان الوحشة والفرع. والنقطة المهمة في هذين السياقين أن كل مجموعة من هذه الكلمات هي إشارة إلى حالة معينة توجد في بيئة الشاعر. الشاعر الذي يترنم بقضية وطنه المحتل ويدافع عنه وعن اغتصاب المحتل لبلده وحرمانه منه منذ نعومة أظفاره. لذا بدت لفظه "ليل" هنا كرمز للأوضاع



وهذا ما تؤكد السطور التالية:

من أنا بعد منفاك في جسدي؟

آه مني، ومنك، ومن بلدي

.....

أريني غدي! ...

في كل تموز يحملني الياسمين إلى

شارع، لا يؤدي إلى هدف،

(درويش، ص ٦٤٤)

وهكذا شكلت بنية العنوان "ليل يفيض من الجسد" بهذا التركيب دالاً يكشف عن هوية النص، حيث تضافرت الدوال "لتحقيق وجهة نظر قرائية عن الدلالة العامة للقصيدة". (خلف، ٢٠٠١م، ص ٣٥) كما أن تكرار مفردة الليل في النص يدل على مدى الرابطة العميقة بين العنوان والنص. إلا أن هذا العنوان يُعد من العناوين المراوغة التي لا يمكن فك شفراتها ودرك دلالتها بدون قراءة استكشافية في أغوار النص.

"بهذا تتخذ العلاقة بين العنوان والنص صيغة التوازي النصي بين العنوان وعمله، فلكل منها نصيتها الخاصة، وإن دخلت عناصر من أحدهما في بناء نصية الآخر، بحسب تأويلات المتلقي للاثنتين، فاللغة (في المراسلة الأدبية/ النص) تمحو كل أثر للمرسل/ المؤلف ومقاصده، وتنكفي على ذاتها، منتظرة منتجها الفعلي: المستقبل/ القارئ الذي تتوقف إنتاجيته للمراسلة الأدبية/ النص على فعالية تأويله. أي أن للعنوان فلسفته الخاصة القائمة على سيميوطيقا التواصل مع نصه من جهة، ومع مستقبلات التلقي من جهة أخرى، مما يمنحه جماليه خاصة. إذ أضحى اليوم بنية ضاغطة ومركزية تستكمل معمارية النص، وتلفت الانتباه، بوصفها مركزاً باثاً، وبؤرة دائمة الإشعاع في شعرية النص الأدبي". (هياس، ٢٠١٠م، ص ١٠١)

فمن خلال دراسة النص تتضح دلالة العنوان بشكل أكبر، كما يتبين للقارئ مدى علاقة العنوان بالنص الذي يعنونه.

٣- النتيجة

بمقارنة قصيدتي "شب كبير" شاملو مع "ليل يفيض من الجسد" لدرويش يتضح أن كلا الشعارين استخدمتا مفردة "الليل" للدلالة على سوء وتدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية في مجتمعهما.

حيث كانت إيران تعاني من ظلم واستبداد النظام الحاكم في عهد ما قبل الثورة الإسلامية، كذلك المعاناة التي يعاني منها الشعب الفلسطيني جرّاء الاحتلال الغاصب لأرضه وحقوقه. لكن برغم تصوير كلا الشعارين لما يحدث لشعبيهما من انتهاك للحقوق والحريات وتعرضهما للعنف والوحشية والاعتقالات، إلا أن تصوير الشاعر الإيراني للأوضاع في مجتمعه كانت بشكل أعمق، حيث بدت الأوضاع أكثر مأساوية، والذات الشاعرة أكثر يأساً وتشاؤماً، بالرغم من أن معاناة الشعب الفلسطيني أكثر بكثير من معاناة الشعب الإيراني وذلك جرّاء الانتهاكات التي يمارسها المحتل في حقه.

كما يلاحظ في العناوين أنّهما من زمرة العناوين المراوغة التي لا تتضح دلالتها إلا عن طريق دراسة متأمله في أعماق النص واستكناه معانيه. كما أن العنوان "شب كبير" جاء بصورة مكثفة، حيث يحمل دلالات ومعاني متعددة، تُفسّر عن طريق النص وعلاقته بالعنوان.

كذلك يبدو على القصيدتين عدم التصريح والمباشرة واستخدام كلا الشعارين للرموز للإشارة إلى الأوضاع في بلديهما؛ إلا أن قول درويش: (آه مني، ومنك، ومن بلدي) قد تجعل الصورة تبدو أكثر وضوحاً بالنسبة للقارئ

المغربي القديم والحديث"، جريدة العرب الأسبوعي، السبت ١٠/١٠/٢٠٠٩ م، ص ٢٤.

[٦] بوصيع، حفيظة، "سيمائية العتبات النصية: مقارنة

عنوان رواية حكاية الغراب"، ورشة الرواية: حلقة بحث خاصة بالرواية المغربية محمد عزالدين التازي، الإشراف العام: الأستاذ واسيني الأعراج، جامعة الجزائر المركزية، ٢٠١٠ م، صص ١٤ - ٤١.

[٧] بورنامداريان، تقى، سفر درمه، چاپ اول،

انتشارات زمستان، تهران، ١٣٧٤ ش.

[٨] حرّى، أبو الفضل، "كارکرد كهّن الكوّه در

شعر كلايسك ومعاصر فارسي در پرتو رويکرد ساختاري به اشعار شاملو"، فصلنا مه ي ادبيات عرفاني واسطوره شناختي، س ٥، ش ١٥، تابستان ١٣٨٨ ش، صص ٩ - ٣٣.

[٩] حسين، خالد حسين، "سيمياء العنوان: القوة

والدلالة" النمرور في اليوم العاشر "لذكريا تامر نموذجاً، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢١، العدد (٤+٣)، ٢٠٠٥ م، صص ٣٤٩ - ٣٦٣.

[١٠] _____، في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في

شؤون العتبة النصية، دمشق، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٧ م.

[١١] حمداوي، جميل، "السيميوطيقا و العنونة"، عالم

الفكر، المجلد ٢٥، العدد ٣، الكويت، يناير/ مارس ١٩٩٧ م، صص ٧٩ - ١١١.

[١٢] درويش، محمود، الديوان، م ٢، ط ٢، بغداد،

دارالحرية للطباعة و النشر، ٢٠٠٠ م.

[١٣] درديدي، محمد رشدي عبد الجبار، النص الموازي

في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية: دراسة نقدية تحليلية، إشراف أ. د. عادل الأسطة، جامعة النجاح

منها في شعر شاملو، حيث كانت قصيدته "شب كبير" تشير إلى تلك الأوضاع بشكل غير مباشر.

الهوامش

١. طائر يرفرف من أقصى الظلمة/ تسائل الليل، والنوم بدأ/ صاح الطائر صيحة، ورفرف بجناحيه/ لم يعرف طريقه في الليل، فجلس في الظلمة.

٢. حتى وإن دفعتني أملي لحظة واحدة إلى الأمام/ جرتني روح بحري (بحر حزني) إلى الوراء.

٣. نفسي لم تستطع الفرار لا من الأمل ولا من الحزن/ لكنني في هذه الأثناء لازلت أحاول بتفاهل.

٤. أنا ذاك الطائر، في الظلام المعكوس/أخانه واوليائه، شرابه من نبع من الدم.

٥. أنا ذاك الطائر بدون زيارة أو نقصان/ زورقه تائه في بحر الحزن. (البقية تُرجمت أعلاه)

المصادر والمراجع

[١] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٣٠٠ ق.

[٢] أغبال، رشيدة، "الرمز الشعري لدى محمود درويش (الرمز الطبيعي)"، مجلة علامات، العدد ٢٦، ٢٠٠٦ م.

[٣] برهومة، عيسى عودة، "سيمياء العنوان في الدرس اللغوي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، السنة ٢٥، العدد ٩٧، ٢٠٠٧ م، صص ١ - ٢٥.

[٤] بلعابد، عبدالحق، عتبات (جيران جينت من النص إلى المناص)، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٢٩ ق.

[٥] بن البحري، عبد المجيد، "محازفات البيزنطي: بقعة ضوء على ما هو مهمل ومهمش من التاريخ

- [٢١] قصاب، وليد، "الشعر العربي الحديث متى يسترد هويته؟"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد ٥٥٥، ١٩٩٢م/١٤١٣ق، الإمارات العربية المتحدة، صص ١٣١-١٦٠.
- [٢٢] المعجم الوسيط، أخرجه: ابراهيم أنيس، عبدالحليم منتصر، عطيه صوالحي، محمد خلف الله أحمد، الجزء الأول والثاني، الطبعة السابعة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، إيران، ١٣٧٦ ش.
- [٢٣] نبي لو علي رضا، كاربرد نظرية نشانه شناسي مايكل ريفاتر در تحليل شعر فتنوس نيما، مجله پژوهش هاي زبانشاخي در زبان هاي خارجي، دوره ي ١، شماره ٢، پاييز وزمستان ١٣٩٠ ش، صص ٨١ - ٩٤.
- [٢٤] نيما يوشيج، مجموعه ي كامل اشعار نيما يوشج، تدوين: سيروس طاهباز، چاپ چهارم، تهران، نگاه، ١٣٧٥ ش.
- [٢٥] هياس، خليل شكري، القصيدة السير ذاتية: بنية النص وتشكيل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ٢٠١٠م.
- الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس (فلسطين) ٢٠١٠م.
- [١٤] دهخدا، علي اكبر، لغت نامه، ج ٩، چاپ دوم، ناشر: موسسه ي انتشارات و چاپ دانشگاه تهران، ١٣٧٧ ش.
- [١٥] رحيم، عبدالقادر، "العنوان في النص الإبداعي: أهميته و أنواعه"، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العددان الثاني و الثالث، جامعة الملك محمد خيضر (سكوه)، جانفي- جوان، ٢٠٠٨م، صص ٣٢٣ - ٣٤٣.
- [١٦] شاملو، أحمد مجموعة آثار، دفتر يكم: شعرها، چاپ دهم، موسسه انتشارات نگاه، تهران، ٣٩١ ش.
- [١٧] شاملو، احمد، مجموعه ي آثار احمد شاملو، دفتر يكم: شعر، چاپ ١٠، موسسه انتشارات نگاه، تهران، ١٣٧٧ ش.
- [١٨] عبد القادر، رحيم، "وظائف العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري"، مجلة المخبر، العدد ٤، ٢٠٠٨ م، صص ٩٥ - ١١٦.
- [١٩] علوش، سعيد، مدارس الأدب المقارن (دراسة منهجية)، ط ١، المركز الثقافي العربي، (بدون مكان) ١٩٨٧م.
- [٢٠] الفيضي، عبدالله بن أحمد، حدائث النص الشعري في المملكة العربية السعودية: قراءة نقدية في تحولات المشهد الإبداعي، الطبعة الأولى، النادي الأدبي بالرياض: ١٤٢٦هـ.

نشانه‌شناسی عنوان در دو قصیده‌ی "شبگیر" احمد شاملو و "لیل فیض من الجسد" محمود درویش (بررسی تطبیقی)

فاطمه بخت،^۱ سعید بزرگ بیگدلی^۲، ناصر نیکوبخت^۳، کبری روشن فکر^۴

تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۹/۲۹

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۱/۱۲/۲۸

نشانه‌شناسان در نقد جدید، برای عنوان در متن ادبی اهمیت زیادی قائل هستند، چرا که نخستین اشاره‌ای است که متوجه مخاطب می‌گردد و همچون کلیدی دلالتی است که ساختار متن را در یک یا چند کلمه خلاصه می‌کند. از طریق عنوان، خواننده به منظور کشف دلالت‌ها و مفهوم و گشودن رمزهای آن، وارد اعماق متن می‌گردد و به خواننده، امکان شناسایی ماهیت و مضمون متنی را می‌دهد که برای آن عنوان انتخاب می‌کند.

لیوهوک، ژرار ژنت، هنری میتران، شارل گریفیل، راجر روفر و دیگر ناقدان غربی تأثیر زیادی در گشودن این زمینه در برابر ناقدان معاصر، به منظور بررسی، تعریف و تحلیل عنوان داشته‌اند، به گونه‌ای که پژوهش‌های معاصر به ویژه در دهه‌های اخیر، به بررسی و نقد همه جانبه‌ی عنوان پرداخته‌اند. در این مقاله، عنوان دو قصیده‌ی "شبگیر"، اثر شاعر ایرانی، احمد شاملو و "لیل فیض من الجسد" اثر شاعر فلسطینی، محمود درویش، تحلیل شده و دلالت کلمه‌ی "شب" در عنوان هر دو قصیده مقایسه می‌گردد. روش کاربردی در این مقاله توصیفی-تحلیلی و در پرتو ادبیات تطبیقی و مکتب آمریکایی است.

نتایج بررسی و تحلیل این دو قصیده حاکی از این است که واژگان "شب" دلالت نمادین آشفستگی و نابسامانی اوضاع جامعه‌ی دو شاعر است.

کلید واژه‌گان: نشانه‌شناسی، عنوان، ادبیات تطبیقی، شب، احمد شاملو و محمود درویش.

f_bokhait@yahoo.com

bozorghs@modares.ac.ir

n_nikoubakht@modares.ac.ir

kroshan@modares.ac.ir

۱. دانشجوی دکترا زبان و ادبیات فارسی، دانشگاه تربیت مدرس.

۲. دانشیار، گروه زبان و ادبیات فارسی، دانشگاه تربیت مدرس.

۳. دانشیار، گروه زبان و ادبیات فارسی، دانشگاه تربیت مدرس.

۴. استادیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه تربیت مدرس.

A Comparative Study of Title Semiology in Odes ("At Night" of Ahmad Shamlou and "A Night Full of Corps" of Mahmud Darvish)

Fatima Bakhit¹, Saeed bozorg bigdeli², Naser Nikoubakht³,
Kobra rowshan Fekr⁴

Received: 2012/12/19

Accepted: 2013/3/18

Abstract

Semiology in modern critic is of great importance; because it is the first point inferred by the audiences. Also, it is a golden key to summarizing the text structure through which the reader enters the depths in order to detect reasons and concepts as well as to decode and comprehend the symbols. Semiology provides the reader with the possibility of recognizing the nature and context of what one attempts to choose a title for.

Lieu Hook, Juror Janet, Henry Mitterrand, Charles Griffes, Roger Roofers and other western critics have affected seriously on opening the background for the contemporary critics aiming at title definition and analysis; so that the modern researches have been concentrated on comprehensive analysis of the title, specifically in the recent decades.

In this paper, we studied the titles of two odes: "The Night" of the Iranian poet, Ahmad Shamlou and "A Night Full of Corps" of the Palestinian poet, Mahmud Darvish. We have compared the term *night* used in both titles in a descriptive-analytical method and in the framework of comparative and American literature. The findings reveal that the term *night* is the symbol of chaos and unorganized in society, according the two poets.

Keywords: Semiology, Title, Comparative literature, Night, Ahmad Shamlou, Mahmud Darvish.

1. Ph.D. Candidate, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University.
2. Associate Professor, Dept. of Persian Language and Literature.
3. Associate Professor, Dept. of Persian Language and Literature.
4. Assistant Profssor, Dept. of Persian Language and Literature.

f_bokhait@yahoo.com
bozorghs@modares.ac.ir
n_nikoubakht@modares.ac.ir
kroshan@modares.ac.ir